الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

قطع العلاقات الأدبية :

أصدرت الحكومة قرارا يقضي بحظر تصدير الورق المطبوع وغير المطبوع إلى الخارج ، علاجا لأزمة الورق الحاضرة ، حتى يتوافر في داخل القطر ما يرد منه . ويتضمن ذلك منع إصدار الكتب التي تطبع في مصر إلى سائر البلاد العربية . . وهذا قرار بالغ الخطورة ! أهون منه حل جامعة الدول العربية وكل ما ينشأ بين الحكومات العربية من خلاف وسوء تفاهم . . . فالكتاب هو السفير بين هذه البلاد ، وهو سفير يعمل على توطيد المودة وتعزيز القرابة بين أهلها ، وهو سفير صامت يعمل في غير تظاهر ومآدب وحفلات ، لا يخطب بكلام يرن بين الأركان ثم يذهب في الفضاء ، وإنما يتحدث إلى العقول والقلوب فتستكين إليه ويستكن بها ، فإن ذهب تسرب إلى قرار النفوس وبواطن المشاعر

فالكتاب بين البلاد العربية أساس وحدتها ، وقد سبق « البروتوكولات » بل مهد لها ، وقامت عليه . فليت شعري كيف ينزع الأساس ويظل البناء قائما !

والعجيب أن ذلك القرار يشمل منع الكتب عن جنوب الوادي : السودان ! وهنا معنى سياسي لست أدري كيف خفي على من أعدوا القرار . . وهناك أيضا نواح عملية لست أدري أيضا كيف خفيت عليهم ، فلنا في السودان مدارس تصرف لها الكتب من مصر . . ولدار الكتب المصرية فرع في الخرطوم من الطبيعي أن تمده بما يجد من الكتب ، وكذلك هناك مكتبة النادي المصري بالخرطوم . وإخواننا السودانيون على العموم يحفلون بالمؤلفات المصرية ويستقبلونها من لدنا كما نستقبل من لدنهم ماء النيل

والعجب يبلغ أشده كلما أنعمنا النظر في ذلك القرار . . والظاهر أن الموظفين الذين فكروا فيه وأعدوه إنما نظروا إلى الناحية المادية التجارية المحضة ، نظروا إلى الكتب على أنها بضاعة كالأرز والبصل يمنع إصدارها لتكثر في الأسواق المحلية ، ولم يخطر ببالهم أن قطع الكتب إنما هو قطع للعلاقات الأدبية وصد للتيار الفكري بين البلاد العربية . بل أقول إن النظرية المادية التجارية نفسها غير سليمة ، فمستهلكو الكتاب المصري في مصر قليل ، وهو يعتمد على قراء البلاد العربية الأخرى ، فمنعه من التصدير معناه الكساد وما في هذا الكساد من القضاء على الحركة الفكرية في مصر . ولندع الحركة الفكرية ونستمر في المناقشة الاقتصادية . . إن المواد تمنع من التصدير لتقوم بالحاجة المحلية ، فماذا نصنع بالورق الذي يستعمل في طبع الكتب ، والكتب قد حكم عليها بالكساد . . ؟

وهناك — من الناحية الاقتصادية والاجتماعية أيضا — دور النشر والطباعة وعمالها . . أليس في الحسبان ما يصيبهم من أضرار وتعطل ؟ هل من النظر الاقتصادي السليم أن تحل أزمة بأزمة . . فيدير توافر الأوراق بتوافر البطالة في البلاد . ؟

إن ذلك القرار من أين أتيته وجدت فيه الخطل والعجب ، والمخلص الوحيد منه أن يتداركه أولو الأمر ، وفيهم من لا تخفى عليه دقائقه

فلم « ليلى غرام » :

كنت قد أخذت نفسي — في فترة مضت — بتتبع ما يعرض من الأفلام المصرية ، والكتابة عنها ، قاصدا بذلك أن أسلك طريقا أو أساهم في طريق يؤدي إلى حسن استخدام صناعة السينما في نفع المجتمع وخير الناس من حيث معالجة المسائل القومية والاجتماعية ، وتهيئة أسباب المتعة الفنية البعيدة عن التبذل والإسفاف ، وقد رأيت — إذ ذاك إزاء خطر هذا الفن باعتباره أكثر الوسائل اتصالا بالجمهور — أنه ينبغي أن نصبر على ما في البضاعة الحاضرة من تفاهة وغثاثة ، وأن نولي هذه الناحية اهتماما ، لا بالنظر إلى المعروض ، بل نظراً إلى المثال المرجو منها . وأيدني في ذلك بعض القراء ، وخالفني آخرون قائلين : ما هذا

الذى تكتبه عن شكوكو وكاريوكا واسماعيل يس ؟ اعدل بنا يارجل عن هذه الأشياء إلى الأمور ذات البال . .

وحين وصل إلى سمعى ذلك القول كان صبرى قد نفد ووضقت ذرعا بتلك الأفلام ؛ فعدلت عنها واكتفيت بتتبع اروايات التمثيلية ذات القيمة الأدبية التى تمثل على المسرح ابراق

وأخيرا علمت أن هناك فلما أخرج من قصة « اقيطة » التى ظفر كاتبها الأستاذ محمد عبدالحليم عبد الله ، عنها ، بجائزة مجمع فؤاد الأول للغة العربية منذ سنوات ، وقد سمى الفلم « ليلة غرام » على اعتبار أن اللقيطة كانت ثمرة لتلك الليلة التى التقى فيها أبواها على حرام

شاهدت الفلم لمكانة قصته وصاحبها من الأدب ، ولنلق أولا نظرة على مجمل القصة قبل الكلام عليها : يعرض الفلم حياة إنسان من حقه أن يكون له بذاته اعتبار فى المجتمع ولكن المجتمع يضطهده ويأبى عليه هذا الحق لذنب جناه غيره ، ذلك الإنسان هو « اللقيطة » التى قذفت بها الأقدار عقب ولادتها إلى ملجأ اللقطاء - ث نشأت لا تعرف لها أبا ولا أما ، ثم خرجت منه بعد أن شبت ، إلى ميدان الحياة ، وكانت فى الملجأ تعانى شعورها بحرمان الأبوين ، فلما أتيح لها شئ من الاستقرار والنجاح فى معترك الحياة جعلت تصارع لؤم الناس وسوء نظرهم إليها لأنها لقيطة ، فقاست ألوانا من الألم والبؤس ، صبرت عليها فى إيمان ثابت يغذيه ويقويه فى نفسها « السيد الأمير » وهو رجل من علماء الإسلام مستنير العقل واسع الأفق ، كان مبدأ صلتها به فى المستشفى الذى كانت تعمل ممرضة فيه ، وكان هو يعالج هناك . ولما ائتمت هى وخاطبها الطبيب الشاب الذى أحبها وأحبته ، من موافقة أبيه الثرى على زواجهما ، لجآ إلى السيد الأمير الذى استطاع بقوة حجته وشخصيته الدينية أن يقنع الوالد بأن البنت لا ذنب لها فيما جناه أبواها المجهولان ، وكان الحل الأخير أن يتبنى السيد الأمير الفتاة ، ويتم الزواج

ليس الموضوع — وهو الدفاع عن اللقيط البرئ ضد المجتمع الذى يظلمه — ليس هذا الموضوع جديدا ، وليس حتما أن يكون الموضوع جديدا ، فالعبرة بالمعالجة وطريقة التناول ، وقد عالجه المؤلف علاجا حسنا ، وتناوله من نواح واقعية ، وصوره فى صورة حية ، وربط بينها بخيال محبوك الأطراف

كشكول الأسبوع

□ سعدت فى هذا الأسبوع بقراءة « شباب وغانيات » وهى المجموعة الأخيرة للكاتب القصصى الكبير الأستاذ محمود تيمور بك . وأنا أتلقف قصصه حين ظهورها مشتاقا إليها كوجبات مريئة شهية ، وأتناولها بلذة ومتعة ويطربنى منها أنها تصور الحياة بصدق ، وتكشف خبايا النفوس فى دقة ، بأسلوب الكاتب الذى يجمع بين حر البيان ورقة العصر

□ صدر أخيرا بالقاهرة ديوان « موكب الذكريات » للشاعر الحجازى الشاب الموهوب الإستاذ حسن عبد الله القرشى ، وهو يشدو فيه بأغاريد شعر الشاعرة ، ويعبر عن ملابسات حياته وبيئته ويؤدى كل ذلك أداء جميلا نابضا بالحياة

□ كان المرحوم محمد بك رمزى قد ألف كتابا أسماه « القاموس الجغرافى » تكلم فيه عن البلاد المصرية مدينة مدينة وقرية قرية من الناحية التاريخية والجغرافية . وقد أعد ذلك فى بطاقات ، لكل بلد بطاقة ، ثم توفى قبل إخراجها فى كتاب . ومن نحو ثلاث سنين تسلمتها دار الكتب المصرية من أخى الفقيد الأستاذ أحمد رمزى بك عضو مجلس الشيوخ ، على أن تطبعها فى مدى عام ومضت هذه المدة ولا تزال البطاقات فى صناديقها بدار الكتب ، وليتها بقيت كاملة . فقد تبين أخيرا أن مدينة القاهرة فقدت برمتها من بين البطاقات ، ولم يعلم حتى الآن أين ذهبت . . .

□ أصدرت جامعة فاروق الأول دليلها العام باللغة الإنجليزية فقط ! وقد أصدرته ثلاث مرات بهذه اللغة ولم تصدر حتى صورة منه باللغة العربية ! فهل هى جامعة انجليزية أو جامعة مصرية ؟ وهل هى فى بلاد انجليزية أو فى بلاد مصرية ؟ وهل اسمها جامعة جورج السادس أو جامعة فاروق الأول ؟

□ تحدث مراقب البرامج العربية بالاذاعة ، عن مقترحات السامعين ، فكان منها اقتراح إذاعة « حفلات الزار » وقال المراقب إننا نعتذر عن إجابة هذا الطلب . ويظهر أنه حسب صاحب الاقتراح جادا . وإنما هو يسخر من البرامج كأنه يقول لهم : لم يبق — لاستكمال أنواع السخف — إلا أن تذيعوا حفلات الزار . . .

□ من طرائف الدرة الكيلانية ، أن جاء ذكر الذين يكتبون هذا فى بعض الصحف مدعين أنه تجديد فى الأدب ، فقال الأستاذ كامل كيلانى : إنهم « مجددونات » ذاهبا إلى أن اللغة فى حاجة إلى استحداث هذا الجمع : جمع المخنث السالم . .

وبذلك خرج هذا الفلم عن المبادئ المتشابهة التي تدور عليها الأفلام المصرية ، وجانب المبالغة التي تعرضها قصدا إلى الإثارة ، وليس بهذا الفلم فراغ كالذي يسد في الأفلام الأخرى بمناظر التهتك وعرض المباذل ، ففيه موضوع يشغله عن ذلك

وقد أخرج الفلم أحمد بدرخان فأحسن إخراجه ؛ بتنسيق المناظر وتوجيه التمثيل ، والمحافظة على ما في القصة من معان أدبية جميلة ، بل بترجمة هذه المعاني إلى لغة السينما ووسائلها ، فجمع مثلا بين مناظر الشروق والغروب وبين خواطر البطلين في الأمل واليأس ، وكانت شخصية السيد الأمير موحية بكثير من المعاني الروحية القوية ، وكانت وسيلة لمعالجة المشكلة من وجهة النظر الإسلامية

وفي القصة كثير من المصادفات التي استعين بها على تسلسل الحوادث وحبكها ، وهي مقبولة لأنها لا تخرج كثيرا عن الواقع ، وأرى لهذه الكثرة أن إظهار الأم مريضة في المستشفى لتتعارف هي وابنتها اللقيطة ، كان صدفة مفتعلة زائدة على ما أشبعت به القصة من مصادفات ، وكان يمكن الاستغناء عن هذا المنظر دون أن يخل ذلك بمجرى الحوادث

التصوير الفني في القرآن

أشرت في الأسبوع الماضي إلى المحاضرة التي كان مقرراً أن يلقيها الأستاذ أحمد الشرباصي في الجامعة الشعبية ، عن كتاب « التصوير الفني في القرآن » للأستاذ سيد قطب ، وحالت بعض الظروف دون إلقائها . وأذكر الآن أن الأستاذ ألقى هذه المحاضرة في جمعية الشبان المسلمين يوم الثلاثاء الماضي . استهل المحاضرة بمقدمة عن سوء التفاهم بين رجال الفن ورجال الدين ، لتمسك الأولين بالتحرر والانطلاق والتزام الآخرين التزمت والتقيد ، وقال إن كلا منهما يغالي في طرفه ، ولو أن الفريقين تركا هذا التغالي لالتقيا عند هدفهما الواحد وهو طلب الجمال الروحي . وعد المحاضر كتاب « التصوير الفني » أول عمل صريح في سبيل ذلك الهدف ، وقال إن المؤلف هو أول من كشف عن القاعدة التي بنى عليها كتابه ، وهي أن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة الحسية المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي الصورة التي يرسمها ، فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة . ثم أتى المحاضر بأمثلة من الكتاب تطبيقاً لهذه القاعدة ، ومما قاله أن بعض الناس ادعى أنه سبق المؤلف إلى هذا الموضوع وهي دعوى مردودة ، لأن الأستاذ سيد قطب كتب مقالا — قبل إخراج الكتاب — في مجلة المقتطف بعنوان « التصوير الفني في القرآن » سنة ١٩٢٨ أي في وقت لم يكن أحد فيه قد كتب شيئاً متصلا بهذا الموضوع

ثم أبدى المحاضر بضع ملاحظات تتلخص فيما يلي :

١ — تمنى لو أن المؤلف كتب فصلا عن معنى كلمة « التصوير » وكلمة « الفني » بالنسبة للقرآن لأن الاصطلاح جديد

٢ — قال إن المؤلف كان يصيب على الرافعي أسلوبه لأنه يعبر بالصورة الحسية عن المعاني الذهنية ، على حين أنه يثني على هذه الطريقة في تعبير القرآن

٣ — ذكر أن المؤلف استعمل تعبير « سحر القرآن » وتمنى لو أنه استخدم بدلا منه « جاذبية القرآن » أو « روعة القرآن » لأن السحر في الأغلب يدل على معنى الخداع والتغرير ، وهو الذي كان يقصده الكفار حين وصفوا به القرآن الكريم

٤ — لاحظ على فصل « المنطق الوجداني » في القرآن أن المؤلف يقول : إن العقيدة تقوم على الوجدان ، وقال : إن الوجدان يجيء سابقاً حقيقة ولكن العقل يتدخل بعد ذلك ليبرهن على ما تأثر به الوجدان

٥ — اعترض على عبارة في الكتاب جاء فيها « أدركنا سر الإعجاز في تعبير القرآن » قائلا بأن سر الإعجاز في القرآن لا يدركه فرد ولا يدركه جيل

وختم الأستاذ الشرباصي محاضرته بالإشادة بقيمة الكتاب ومكانة موضوعه الجديد من الدراسات الإسلامية ، مقترحاً أن يدرس هذا الموضوع في كليات الأزهر وكليات الجامعة التي تدرس اللغة العربية

وقد تحدثت بعد ذلك مع الأستاذ سيد قطب وسألته عن